القضايا الاجتماعية والسياسية في رواية (الصبار) لسحر خليفة ورواية (راجه گدهم ملك النسور) لبانوقدسية

طفيل محمد بت و د. عرفاني رحيم، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا،أونتي بورة . كشمير

الملخص

الرواية في الأدبين العربي والأردي تحتل مكانة خاصة بين أصناف الأدب الأخرى، وقد شقت طريقها في الأدب الهندي والفلسطيني. تطورت تطورا هائلا متأثرة بالحروب والثورات والنكبات التي أحدثت تغييراً اقتصادياً واجتماعياً في هذين المجتمعين، وأصبح الكتاب يعبرون عن هموم الناس ومعاناتهم. ولكن لم تكن النساء مختلفة عن الرجال في هذا المجال، بل بذلن جهودهن القيمة لإصلاح المجتمع وتطويره، فجاءت العديد من الروايات النسوية في وصف الحياة والمجتمع، و نما أدبهن بطابع القوة وتميز بمظاهر الحيوية. تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز "القضايا الاجتماعية والسياسية في رواية (الصبار) لسحر خليفة من الفلسطين و رواية (راجه گدهم) من الهند". تتناول هذه الدراسة رواية للكاتبة الفلسطينية والهندية، فالرواية النسوية الفلسطينية(الصبار) لسحر خليفة تعالج بقضية الفقر ومشاكل العمال الفلسطينيين في مصانع إسرائيل كما تركز على معاناة الشعب الفلسطيني وآلامه تحت ظل الاحتلال الصهيوني، والرواية النسوية الهندية (راجه گدهم) تدور حول قضية الحلال والحرام وآثارهما في حياة الإنسان و تتحدث عن الأحوال السياسية والاجتماعية بعد استقلال الهند من بريطانيا، وتعبر عن الأحوال السياسية والتاريخية الكبرى وأسبابها.تسلط الضوء على جذور فن الرواية في الأدبين الفلسطيني والهندي مع ذكر القضايا والموضوعات التي وردت في هذه الروايات.تناقش الورقة أربعة محازر هي كالتالي:

- مصطلح الاجتماع .
- تمظهرات الرواية النسائية في الأدب الفلسطيني
- الرواية النيائية في الهند
- أوجه التشابة و التباين في الروايتين الصبار و راج كده (ملك النسور)

الكلمات المفتاحية :
الاجتماع . تمظهرات الرواية النسائية في الهند و الفلسطين.التشابة . التباين.

المقدمة:

الرواية من الفنون الأدبية الجديدة على مستوى الآداب العالمية إذا ما قيست بالشعر والمسرح، ولم يتجاوز عمرها في الآداب العالمية قرنين ونصف من الزمان .ظهر هذه الكلمة لأول مرة في إنجلترا في القرن السادس عشر الميلادي، ولكنها استقرت كمصطلح ومفهوم أدبي ثابت في القرن الثامن عشر الميلادي.

في البداية جاءت الرواية بأشكال قصصية محدودة في الأحداث والأزمنة، وكانت موضوعاتها خيالية ووهمية، ثم برزت بشكل القصص الطويلة، وكانت موضوعاتها على أساس أمور غيبيّة ووهميّة، ثم صارت تعالج الواقع الإنساني والنفسي والاجتماعي، وكان النظام الإقطاعي الذي يسيطر على المجتمع الأوروبي قبل عصر النهضة يرسم الخطوط الأولية للرواية، وكان الرومانس " Romance " أو الرواية الخياليّة هو الفن الروائي السائد والمسيطر الذي يعبر عن طبيعة المجتمع الإقطاعي ومزاجه[1].

ثم ظهرت الطبقة المتوسطة وصارت صاحبة النفوذ الأكبر في المجتمع .واتجه الأدباء إلى هؤلاء وبدءوا يعبرون عن مشاكلهم ومعاناتهم تعبيرا واقعيا، ومن هنا ظهر نوع جديد من الرواية الذي يعد البذرة الأولى للرواية الفنية، ويعد أول رد فعل مباشر ضد الرومانسية. وبمرور العصور ابتعدت الرواية عن حالتها الوهميّة والخرافيّة الابتدائية شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى قمتها وذروتها في العصر الحديث لتظهر بشكل الرواية الفنيّة بموضوعاتها الواقعية[2].

والرواية في الأدبين العربي والأردي تحتل مكانة خاصة بين أصناف الأدب الأخرى .وقد شقت طريقها في الأدب الهندي والفلسطيني خلال القرن العشرين، وتطورت تطوراً هائلاً متأثرة بالحروب والثورات والنكبات التي أحدثت تغييراً اقتصادياً واجتماعياً في هذين المجتمعين، وأصبح الكتاب يعبرون عن هموم الناس ومعاناتهم .ولم تكن النساء متخلفات عن الرجال في هذا المجال، بل بذلن جهودهن القيمة لإصلاح المجتمع وتطويره و ساهمت الكثير من النساء في هذا المجال.

ظهور فن الرواية في الأدب الفلسطيني:

إن الرواية الفلسطينية تتميز عن باقي الروايات العربية في العالم العربي من حيث مواضعها ومن حيث وضعيتها التاريخية .ظهرت ملامح الفن القصصي في الأدب الفلسطينى في أواخر القرن التاسع عشر، وهذا الفن في تلك الفترة كان في مراحله التجريبية، ولم يتجاوز عدد إنتاج

[1] تطور الأدب الحديث في مصر من أوا ئل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الثانية الكبرى"، أحمد هيكل، ص49

[2] المرجع نفسه ص 197-198

الكتاب الذين خاضوا تجربة الكتابة الروائية في هذه الفترة ثلاث أو أربع روايات فقط .وكان خليل بيدس رائد القصة والرواية في فلسطين الذي كتب روايته بعنوان "الوارث" خلال عام 1920م، وهي تعد أول رواية في الأدب الفلسطيني[1].

ثم حدثت النكبة الفلسطينية عام 1948 م، وكانت هذه النكبة نقطة تحول في الأدب العربي الحديث في فلسطين. شكلت النكبة وما نتج عنها من ظروف صعبة حافزاً قوياً للروائي الفلسطيني ليكتب ويعبر عن هموم شعبه التي شاهدها والمآسي والمذابح والضياع والتشرد وظلم الصهيونية الذي لا مثيل له في العالم . فخلال الفترة من 1948 م إلى عام 1967 م ظهرت أكثر من ستين رواية معظمها تصور النكبة وما فيها من ألم وحزن ورعب ومصاعب الهجرة ومشاكلها[2].

الرواية النسائية في فلسطين

وكانت النساء أول من قصصن القصص في التاريخ .وهن اللواتي قمن غالباً برواية القصص من جيل إلى آخر، واللواتي حفظن التاريخ والحضارة الشفوية ونقلنهما بكل الأوجه، وربما أصبح اليوم من نافل القول أن القصة الشعبية هي ابتكار نسائي. فقد بدأ صوت المرأة يظهر ويعلو في الأدب العربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع ظهور قصص وأشعار ومقالات كتبتها وأنتجتها نساء عربيات في الكثير من الصحف والمجلات الدورية، ومن أبرز أسماء هذه المرحلة فريدة عطايا ووردة إليازجى، و زينب فواز، ولبيبة هاشم، وعفيفة كريم، وسلمى صايغ، ولبيبة ميخائيل، وغيرهن[3].

أما في فلسطين فقد تأخرت الرواية النسائية في الظهور كثيراً، مقارنة بالرواية النسائية في الأقطار العربية الأخرى، بسبب جمود الحياة السياسية والاجتماعية وانغلاقها .وتشكلت الرواية النسائية الفلسطينية على مدى الخمسينات والستينات من القرن العشرين بظهور بعض النماذج التي سميت بالرواية تجاوزاً، وهي نصوص (صوت الملاجئ) لهدى حنا، و(فتاة النكبة)لمريم مشعل، و(سيناء بلاحدود)لسميرة عزام[4].

لقد استطاعت الروائية الفلسطينية أن تترك بصمة واضحة في الأدب الفلسطيني خاصة والعربي عامة، بل ترجمت الكثير من الروايات النسائية الفلسطينية إلى اللغات العالمية المختلفة ولقيت صدى مميزاً، ولكن الظروف السياسية الراهنة وما تحمله من عدم الاستقرار وصعوبة التواصل مع الخارج أبعد بعض الأصوات الأدبية النسائية الجديدة مما

[1] الأدب العربي المعاصر في فلسطين د كامل السوافيري ص 356

[2] الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المختلفة حسين محمد حسين ص 33

[3] الجانب الاجتماعي في أدب المرأة العربية شاكر فريد حسن ص 56

[4] قراءة تاريخية في الرواية النسائية الفلسطينية وتطورها د حفيظ أحمد

تستحقه من الاهتمام مثل: حزامة حبايب وحنان عوّاد ونبيلة العسلي وديمة السمّان ورفيقة الحسيني وفيحاء جاد الله ووداد البرغوثي وتودد عبد الهادي ونداء خوري، وغيرهن.[1] ورغم أن معظم الروايات النسائية العربية في هذه الفترة كانت تدور حول النساء وأمورهن فقط، فإن الرواية النسائية الفلسطينية خرجت من أسر الذات النسائي الضيق، وانطلقت إلى أفق الوطن الرحب، وكانت تدور حول همومه[2].

ولعل الكاتبة الفلسطينية وجدت في الرواية مجالاً واسعاً للتعبير عن إشكاليات الوطن وإشكاليات المرأة تحت ظروف الاحتلال والنفي والمقاومة، فقد كان للنكبة والهزيمة وظهور العمل الفدائي في الأرض المحتلة وخارجها أثر واضح في الرواية النسائية الفلسطينية.[3] وعلى الرغم من أن الإنتاج الروائي الفلسطيني بأقلام النساء أقل بكثير من إنتاج الكتاب الفلسطينيين، لكنه أثبت وجوده في الأدب الفلسطيني، وأخذ دوره الفعال إلى جانب القصة والرواية، وتطور شكلاً ومضموناً، وحاول بقدر الإمكان أن يصور الوضع الاجتماعي والسياسي بوضوح ودقة.

ظهور فن الرواية فى الأدب الهندي

ظهرت البذور الأولى للرواية الأردية في شبه القارة بعد سنة 1857 م، حيث ظهرت مئات من الروايات الاجتماعية والعاطفية والتاريخية والسياسية، وأصبحت الرواية ذات أهمية حيوية في تاريخ شبه القارة .ويعتبر مولوى نذير أحمد من أوائل كتاب الرواية في الأدب الأردي، كتب روايته الأولى باسم" مرآة العروس"، وهي رواية اجتماعية إصلاحية، وبعض النقاد يعدونها أول رواية أردية رغم الأخطاء الفنية التي تحتويها[4]. وفي نفس الفترة عاش الأديب عبد الحليم شرر الذي ترك مجموعة من الروايات، وكانت معظمها ذات اتجاه تاريخي تناول فيها الحضارة والمجتمع. وأول رواياته "ملك العزيز ورجينيا" المنشورة عام 1888 م التي تعد أول رواية تاريخية في الأدب الأردي[5]. ومن الروائيين الأوائل الكاتب الجليل رتن ناته سرشار، ومن أشهر رواياته "فسانه آزاد" أي "قصة آزاد"، وآزاد بطل هذه الرواية، وقد كتبها عام 1880 م، ووصف فيها مجتمع" لكهنو "الذي ولد وعاش فيه[6].

وبعد انفصال الهند في عام 1947 م ظهر عدد كبير من الروايات، وتطور هذا الفن أكثر من قبل، حتى تعتبر هذه الفترة عصراً ذهبياً

[1] التحولات في الرواية الفلسطينية مقال مأخوذ من محاضرات ألقيت في جامعة فرانس 2002

[2] قراءة تاريخية وفنية في الرواية النسائية الفلسطينية د حفيظة أحمد

[3] المرجع نفسه

[4] اردو میں ادبی نترکی تاریخ، طیبه خاتون ، ص172

[5] جدید اردو ادب غزنوي خاطر ص 10

[6] المرجع نفسه ص 11

للرواية الأردية. ومن أهم أسبابه الهجرة الاجماعية الكبرى التي استمرت سنين طويلة، ووقعت خلالها حوادث كبيرة ومؤلمة، ومر المسلمون بسلسلة طويلة من المآسي والآلام أمليين في الوصول إلى الأرض الجديدة الخالية من الظلم والجور .وكل ذلك كان يحتاج من القاص أن يسرد الوقائع ويذكر تفاصيل الهجرة . فامتلأت روايات هذه الفترة بالحديث عن القهر من جرائم القتل والنهب والسلب والإذلال والإهانة وإهراق دماء المسلمين عند استقلال الهند، فلم يتركوا قلباً لا ينزف، ولاعيناً لا تدمع.

الرواية النسائية في الهند

ظهرت ملامح فن الرواية النسائية في الأدب الأردي في شبه القارة الهندية، ولكن هذا الفن لم يتطور كثيراً، لأن المرأة في المجتمع الهندي لم تجد الفرصة الكاملة لإظهار أفكارها ومشاعرها بسبب النظام الإقطاعي وقلة وسائل التعليم وسلوك المجتمع السيء مع النساء .ومع تغير النظام الإجتماعي تغيرت آراء الناس عن المرأة، وبدءوا يحسون أن المرأة تعيش حياة الجمود والتخلف، فمن غير الخروج من هذا الظلام لا يمكن لها أن تتقدم في الحياة .فكان نذير أحمد أول من كتب روايات تدعو إلى تحسين وضع المرأة، واعترف فيها لأول مرة بمقام المرأة وبأهميتها في المجتمع، وشجع النساء على القراءة والكتابة والتعلم .ونتيجة لهذا مالت النساء إلى الكتابة والتأليف[1].

ظهرت مجموعة من الكاتبات المتفوقات في مجال الرواية، وكانت رشيدة النساء أول امرأة كتبت روايات إحداها باسم" إصلاح النساء " وذلك في عام 1881 م، انتقدت فيها الرسوم والتقاليد الهندوسية التي تبناها المسلمون في المناسبات المختلفة .وبعد ذلك ظهرت نماذج روائية كثيرة في ساحة الأدب الأردي النسائي، ومعظمها كانت ضعيفة من حيث الفن والأسلوب، ولكنها مهدت طريقاً للروائيات القادمات[2].

وبدأ العصر الجديد للرواية النسوية مع إنشاء باكستان في عام 1947 م، وفي هذه الفترة تطورت الرواية النسائية كثيرا، ودخلت فيها موضوعات وأساليب جديدة ومتنوعة، ومعظم الروايات المكتوبة في هذه الفترة كانت متأثرة بحادثة ثورة باكستان، وكانت تدور حول أحداث الهجرة وآلامها. ومن النساء اللاتي كتبن عن حوادث الشغب والاضطرابات في هذه الفترة قرة العين حيدر، ولها مجموعة من الروايات الطريفة، منها" :آگ کا دریا "وتعني :بحر من النار، و"میرے بھی صنم خانے "وتعني ولي معابدي، و"سفینۃء غم دل "وتعني :سفينة من بحر الهموم، و"چاندنی بیگم" .و روايتها الأولى

[1] اردو کی ناول نگار خواتین، لتھ الباری، مقاله ایم اے اردو ص 8

[2] اردو ادب کو خواتین کي دین عظیم الشان صدیقي ص 21

تعتبر من أعظم روايات الأدب الأردي[1]. وبعد قرة العين كتبت جيلانى بانو رواية "ايوان غزل"، وهذه الرواية تعبر تعبيراً صادقاً عن الأحداث والتغييرات التي وقعت في المجتمع بعد استقلال الهند[2].

ثم أدخلت الكاتبة حجاب امتياز على الرواية العاطفية والنفسية في الأدب الأردي، وألفت مجموعة من الروايات الطريفة، وعبرت فيها عن مشاعر الطبقة العليا والمتوسطة بأسلوب شعري لطيف، وجعلت المجتمع وتقاليده موضوعا لرواياتها. وبعد ذلك ظهرت أسماء كاتبات عديدات في ساحة الأدب الأردي، من أشهرها وأبرزها :خديجة مستور وجميلة هاشمي والطاف فاطمة وواجدة تبسم ورضية فصيح أحمد وبانو قدسية وغيرهن .تركت هؤلاء الكاتبات أعمالاً جليلة، وأدّين دوراً هاماً في تطوير فن الرواية في الأدب الهندي[3].

الموضوعات الأساسية في رواية (الصبار) لسحر خليفة من الفلسطين

إن الكاتبة الفلسطينية (سحر خليفة) ركزت في رواياتها (الصبار) على آلام الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني، وسجلت المشاهد الأليمة والجرائم البشعة التي ترتكبها العصابات الصهيونية في فلسطين منذ زمن طويل، ومعظم الروايات النسائية نمت على عنصرين هامين، وهما :الوطن والمرأة، وقد شغلا حيزا كبيرا في روايتهن .والموضوعات الأساسية الواردة في رواية الصبار التي اخترتها في هذا المقال هي على التوالي.

معاناة الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال:

عرضت الكاتبة الفلسطينية قضية الاحتلال الصهيوني في روايتها بكل دقة وتفصيل، وأظهرت المشاهد المرعبة المملؤة بالآلام والأحزان التي كان الشعب الفلسطيني يعاني منها في حياته اليومية، منها ما ذكرت الكاتبة في روايتها قصة "نجوم أريحا "من أهوال هزيمة حزيران 1967 م، ووصفت هجوم جيوش إسرائيل على بلدها أريحا بالقنابل والطائرات الحربية وتدميرهم البلد بأكمله، وقتلهم عدداً كبيراً من الرجال والنساء والأطفال، مما أدى إلى هجرة سكان أريحا إلى البلاد المجاورة لها .فهاجروا إلى عمان وعاشوا في المخيمات فترة طويلة[4]. وكذلك عرضت في روايتها تصويراً مفصلاً للجبر والاستبداد والجرائم البشعة التي قامت بها العصابات اليهودية على أرضها وشعبها، ومثال ذلك ما حدث في قرية" سموع" الصغيرة قرب الخليل، حيث هاجمت الجنود هذه القرية ونسفوا البيوت والمدارس والمساجد .وعندما

[1] جديد اردو فيكشن حميرا اشفاق ص 151-152

[2] المرجع نفسه ص 29

[3] ہنوستانی اردو ادب اور اہل قلم خواتین، أحمد براجه ص 204- 205

[4] رواية الصبارلسحر خليفة ص 8

خرج الناس للمظاهرات اعتقلوهم بتهمة التحريض وقذف الحجارة على الشاحنات العسكرية .ووصفت الكاتبة مشاهد وحشية الجنود للمعتقلين بطريقة يقشعر لها البدن . فكانوا يشتمونهم ويضربونهم ويعذبونهم بالكهرباء ويرطمون رؤوسهم بالجدران ويعلقون أجسادهم تحت شمس الظهيرة لساعات طويلة، ولم يكن ذنبهم سوى أنهم كانوا يسعون للدفاع عن بلدهم وحقهم[1].

قضية الفقر ومشاكل العمال الفلسطينيين

نتجت عن هزيمة حزيران العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في حياة الفلسطينيين، وتسببت في إفشاء الفقر والبؤس مما أدى إلى إرغامهم على العمل في مصانع إسرائيل .وذكرت بعض الكاتبات في رواياتها وعرضت فيها قضية الفقر ومشاكل العمال في المصانع الإسرائيلية، ومايعانون من الاضطهاد والمر والإهانة والتميز الطبقي بينهم وبين العمال اليهود، فقد ركزت الكاتبة سحر خليفة في روايتها" الصبار "على هذه القضية تركيزا خاصا، وبينتها من خلال شخصية عادل الكرمي سليل أسرة إقطاعية التي كانت تعاني من الفقر والإفلاس بعد الهزيمة، لأن الجنود دمروا أراضيها ومزارعها، فاضطر عادل للعمل في مصنع إسرائيلي، ولم تكن له حيلة سوى ذلك.

وعرضت أيضا العديد من المصائب التي يواجهها العمال الفلسطينيين خلال عملهم في المصانع الإسرائيلية، فهم يعتبرون عمالاً من الدرجة الثانية، ويعطون أجرة تقل عن نصف أو ربع ما يأخذه العامل اليهودي، ومع هذا يدفعون الضرائب والتأمين أكثر من إمكانيتهم .فيتحدث العامل الفلسطيني زهدي عن سلوك اليهود مع العمال الفلسطينيين ويقول" :الفرق شاسع بين محمد وكوهين، الشغلة الثقيلة لمحمد والخفيفة لكوهين، وللعمال اليهود غرف طعام فيها طاولات وكراسي[2].

الهجرة ومشاكلها

تناولت هذه الرواية هجرة الفلسطينيين القسري وتشريدهم من بلادهم، وعبرن عن مراحل الهجرة المؤلمة ومظاهر القتل والتهريب والتدمير التي واجهها الشعب الفلسطيني خلال طردهم من فلسطين إلى البلاد العربية المجاورة . ومثال ذلك ما وردت فيها "قصة اللاجئة حسنة الدرويشة، التي كانت رمزاً لهؤلاء الذين أخرجوا من بلدهم فلسطين، فقدت حسنة أبناءها التسعة خلال ثورة فلسطين والهجرة، وأصابها الجنون بعد رؤية مقتل أولادها على أيدي الصهاينة أمام عينيها، فغادرت بيتها حاملة مفتاحه في أمل العودة إليه يوما[3].

[1] المرجع نفسه ص 15

[2] رواية الصبار سحر خليفة ص 118

[3] المرجع نفسه ص 15

المرأة ومشاكلها في المجتمع الفلسطيني

وفيها قضية المرأة وما يتصل بها من مشاكل فردية واجتماعية ذكرت فيها بكل دقة ووضوح، وحظيت المرأة ومعاناتها بالنصيب الأكبر في رواياتهن .ومن أهم القضايا النسوية التي عالجتها هي معاناة المرأة تحت ظل الاحتلال، فناقشتها ليلى الأطرش من خلال مجموعة من الشخصيات النسوية مثل حسنة الدرويشة وزكية وغيرهن .فقدت حسنة أبناءها التسعة خلال الثورة وأصبحت مجنونة، تشتم الجنود وتقذف الأحجار على الشاحنات مما أدى إلى قتلها على يد جندي إسرائيلي برصاصة .أما سوسن نجم فاختل عقلها بعد استشهاد زوجها في مهاجمة الإسرائيليين، وأصبحت نصف مجنونة.[1] طرحت سحر خليفة مشاكل الأرملة في ظل الاحتلال، بعد استشهاد زهدي في إحدى المعركة ضد اليهود واجهت زوجته سعدية مشاكل عديدة، لأن تدهورت ظروف بيتها، وأصبحت وحيدة لا معين لها ولأطفالها، فباعت الأساور، وعملت في الخياطة لتنفق على الأسرة والمنزل.[2] و فيها قضية أخرى هي قضية الزواج الإجباري وضرب المرأة والتعرض لها بالأذى الجسدي والنفسي، إن الشابة منى الأفغاني في روايتها كانت يتيمة، خطبها ابن عمها غصباً والذي لم تكن تحبه، وكان يؤذيها إيذاء جسديا ونفسيا، فكانت تنتظر فرصة للهرب من البيت لكي تتخلص من هذا الظلم والإهانة[3].

دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني

انخرطت المرأة العربية الفلسطينية في العمل الوطني النضالي بعد حرب حزيران، ووقفت إلى جانب الرجال في الاجتياح الإسرائيلي، وقدمت الروائيات الفلسطينيات صورا عديدة لنضال المرأة الفلسطينية ضد العدو الغاصب.كما تناولت سحر خليفة المرحلة الشاقة والمضينة من مراحل نضال المرأة، ووضحت هذه القضية من خلال مجموعة من الفتيات المناضلات منها لينا الصفدي التي كانت تنتمي إلى إحدى الخلايا الفدائية وتقوم بتوزيع المناشير، فاكتشفت أجهزة الأمن الصهيونية انتماءها إلى الخلايا الفدائية، وألقتها في السجن.

وكذلك كانت تشارك في العمليات ضد اليهود وتقود المظاهرات، وبعد اعتقال شقيقها بسام بتهمة رشق سيارة عسكرية انحازت إلى منظمة ثورية ووضعت قنبلة في قاعة فندق انتركونتيننتال، ولكن قبض عليها وألقيت في السجن، وأصيبت بالضرب والتعذيب الشديد. فهذا يدل على أن المرأة الفلسطينية بدأت في الاشتراك في النضال الوطني، وأصبحت نداً وشريكاً للرجل في المقاومة، وهي مستعدة لكل المصاعب في سبيل تحرير الشعب والوطن.

[1] المرجع نفسه ص 100

[2] المرجع نفسه ص 103

[3] رواية الصبارلسحر خليفة ص 112

قضية الانحطاط الأخلاقي

ومن القضايا الهامة التي وردت في رواية الصبار هي قضية الانحطاط الأخلاقي .إن الكاتبة عالجت مجموعة من النقائص مثل الانحلال والتدهور الأخلاقي وعدم المساواة والكبر والكراهية وغيرها من العيوب والمفاسد التي تسيطر المجتمع الفلسطيني. وفي روايتها نرى أن نرجس(زوجة فضل)كانت تتكبر بحسنها وجمالها، وكانت جريحة اللسان وسيئة الخلق، تؤذي أخت زوجها بسبب قبح وجهها، وتجرحها بكلامها وسلوكها[1].

وعماد، بطل رواية الصبار أيضا كان سيء الخلق والسيرة، سافر إلى أمريكا لحصول الدراسات العليا، وهنا وقع في اللهو والمجون، وأقام العلاقة غير الشرعية بزميلته اليهودية، واقترب منها حتى قامت بينهما العلاقة الجسدية وولد ابنه منها، ثم تزوج منها خلاف دينه وتقاليد أسرته [2].والاحتلال الإسرائيلي أدّى إلى إنتشار العيوب والمفاسد الكبرى في فلسطين، لأن اليهود دائما يحاولون أن يفسدوا أبناء الفلسطينيين، ويبعدوهم عن مذهبهم وثقافتهم .فذكرت في روايتها أن الجنود والجنديات يمارسون الحب جهاراً في الشاحنات العسكرية في شوارع فلسطين .والحشيش يباع أمام منظر الشرطة الإسرائيلية في الأسواق، وترسل الشرطة تجار الحشيش إلى عمال وشباب فلسطين ويسلطون النساء عليهم ليصبحوا حشاشين [3].

الموضوعات الأساسية في رواية راجه گدم وتعني (ملك النسور) لنفيس قدسية الهندية:

بعد استقلال الهند عام 1947 م ازدهر فن الرواية النسائية كثيرا، وظهرت مجموعة من الكاتبات اللاتي قمن بدور بارز في تطوير هذا النوع الأدبي وتنميته، ومعظم الروايات النسوية التي كتبت بعد استقلال الهند كانت متأثرة بثورة الهجرة والمصاعب والمعاناة التي صاحبتها، ومع ذلك أخذت الكاتبات يركزن على مشاكل المجتمع الجديد، وتقديم الحلول لها .ورواية راجه گدم التي اخترتها في هذا المقال تدور حول قضايا وموضوعات عديدة، وهي على التوالي.

ثورة الهند ومعاناتها ونتائجها

كانت ثورة الهند واستقلالها في عام 1947 م من أعظم المآسي في تاريخ شبه القارة الهندية التي تركت آثاراً عميقة على حياة الناس الاجتماعية والثقافية والنفسية، وتأثر الأدباء بهذه الكارثة تأثراً شديداً، وأصبحوا يعبرون ما واجهوا من مصاعب وآلام ومعاناة خلال تلك الفترة. وفي رواية راجه گدم قدمت نفيس قدسية صورة صادقة وحية لمعاناة المسلمين وآلامهم في شبه القارة ، واشتعلت نار الحرب في أنحاء البلد[4].

آثار الاحتلال الإنجليزي على حياة المسلمين

[1] المرجع نفسه ص 85

[2] المرجع نفسه ص 90- 93

[3] المرجع نفسه ص 98

[4] راجه گدم لنفيس قدسيه ص 130 - 155

إن الاحتلال الإنجليزي تسبب في إفشاء الفقر والبؤس والبطالة واليأس والغضب والاضطراب في حياة المسلمين .وفي رواية "راجه گدھ" نرى أن أسرة مظهر واجهت مشاكل عديدة، كان مظهر يكره الإنجليز ويبغضهم، ولكن الظروف أجبرته على العمل تحت حكم الإنجليز. وفي يوم غضب على رئيس إنجليزي وثار عليه وقام بضربه، مما أدى إلى ذهابه إلى لسجن، وأُمِر بإخلاء البيت الحكومي الذي كان يعيش فيه مع أسرته. فتدهورت الظروف واضطرت أسرته إلى الانتقال إلى بيت أخيه الكبير .أمضى مظهر سبع سنوات طويلة في السجن حتى مات هناك. وأسرة الأخ الكبير أيضا واجهت مصائب عديدة، لأنه انشغل عن العمل، وانصرف في الكفاح وراء الحرية، ونتيجةً لهذا سيطر الفقر والبؤس على البيت، وزادت مشاكل الأسرة[1].

المرأة ومشاكلها في المجتمع

حظيت صورة المرأة وأزمتها ومعاناتها في المجتمع بعناية فائقة من الكاتبات الهندية في أعمالهن الأدبية .ونجد أنهن أظهرن دورها الفاعل والمؤثر في بناء الأسرة والمجتمع، ودافعن عن حريتها، وطالبن بمساواتها بالرجال في الحقوق والشرف، وطرحن العديد من القضايا التي تتعلق بالمرأة وحياتها اليومية كالزواج الإجباري والخداع الزوجي وعدم المساواة والجهل ،وغيرها. عرضت نفيس قدسيه في روايتها قصة سلمى التي تزوجت بفلاح يعمل في حقل أبيها على خلاف تقاليد العائلة، فغضب والدها وقام بضرب زوجها وطردهما من القرية، وأغلق أبواب بيته أمامهما. عاشت سلمى في فقر وحزن حتى توفيت بعد ولادة ابنها صفدر[2]. تمثل نموذجاً للمرأة المظلومة، كانت سيمي تحب زميلها آفتاب وتريد الزواج منه، ولكنه تزوج من خطيبة طفولته وابتعد عنها، فأصيبت بمرض نفسي وماتت[3]. نقدت الكاتبة فيها على تقاليد المجتمع الهندي الذي لم تعط للمرأة حقوق متساوية ومقام مناسب في المجتمع .فالشابة" كرشنا "كانت تنتمي إلى طبقة الويش الأدنى، التقت بشاب اسمه "رويند كمار" وكان من البرهمن، فأحبا بينهما وتزوجا، ولكن رفض أهل الشاب هذا الزواج، لأن زواج البرهمن من الويش المحتقر مرفوضٌ في مذهبهم .ونتيجة لذلك أخرجها الشاب من بيته وتركها وحيدة .وردت أيضا قصة الشابة الهندوسية كسيم التي توفي زوجها بعد ثلاثة أشهر من الزواج، وعادت إلى بيت والديها حزينة ومؤلمة .وبعد فترة أحبت شابا آخر ولم يكن بإمكانها أن تتزوج منه، لأن زواج الأرملة مرفوضٌ في مذهبها الهندوسي، فهربت من بيتها

[1] المرجع نفسه ص 78

[2] المرجع نفسه ص 123

[3] المرجع نفسه ص 144

معه، ولكنه بعد أن أشبع رغباته منها تركها وحيدة، فسقطت في بؤرة رذيلة وانتحرت[1].

قضية الانحطاط الأخلاقي

كان المجتمع الهندي مليء بأنواع من الرذائل مثل الانحلال والطمع والزهو والكراهية وغيرها، فحاولت الكاتبة معالجة هذه الرذائل التي تنتج الفساد في المجتمع .ففي روايتها نرى زوجة مظهر امرأة متكبرة وغليظة اللسان التي تكره صفدر كراهًا شديدًا، وتجرحه بلسانها وكلامها الجارح حتى تريح نفسها.وجَدُّ الأسرة أيضا كان سيئ السلوك والفطرة، وكان على علاقات غير الشرعية مع العاهرات، ولم يخجل بهذا، ولكن عندما تزوجت ابنته من فلاح، غضب غضباً شديداً وطردها من القرية للأبد، فكأنها ارتكبت جريمة أكبر من جريمة أبيها وبطل في روايتها قيوم كان رجلا فاجرا يرتكب الفواحش والزنا لإرضاء شهواته، فأولا اقترب بزميلته "سيمي شاه"، وشاركها في مصائبها لتسكين غريزته وعواطفه، ثم أقام العلاقة الجسدية بالمرأة المتزوجة عابدة، ثم التقت بالراقصة أمتل وأصبح يقضي معظم وقته معها لإشباع غزيرته.

التشابه والاختلاف بين موضوعات الروايتين (الصبار و راجه گدھ)

أوجه التشابه:

- هناك تشابه كبير في الموضوعات التي تناولتها الكاتبة الفلسطينية والهندية في روايتهما، والموضوع الأساسي الذي تدور حوله رواياتهن هو المجتمع ومشاكله .فقد عرضت الكاتبتان أمامنا صورة اضحة وصادقة للمجتمعين حيث عالجن المشاكل، وحاربن الجهل والذل والاستغلال والتدهور بالأخلاقي وعدم المساواة والجرائم والعبودية وغيرها من المشاكل التي توجد فى المجتمع البشري .
- جاءت رواية هتين الكاتبتين مفعمة بالحس الوطني والقومي، فقد عاصرت الكاتبة الفلسطينية الاحتلال الفلسطيني والنكبة بيد اليهود، فصورا في رواياتهماالمشاهد الدامية والمذابح الوحشية التي ارتكبها اليهود ضد الشعب الفلسطيني بكل دقة وتفصيل، وبرزا ما يلقاه ملايين من الناس من صنوف القهر والتعذيب والإذلال في سجون الإحتلال وخلال الهجرة إلى البلاد المجاورة .وكذلك شهدت الكاتبة الهندية الثورة والهجرة والاضطرابات التي وقعت بين المسلمين والهندوس، فجاءت رواياتهما نابضة بهموم الشعب الهندية قبل الاستقلال وبعده، ويروين حوادث دموية لا ينساها التاريخ.

[1] المرجع نفسه ص 56

- ومن القضايا المشتركة بين هاتين الروايتين قضية الفقر والجوع، فقد اقترنت هذه المشكلة مع مشكلة الاحتلال والحرب في البلدين .ففي شبه القارة حاول الاستعمار البريطاني أن يضعف الشعب الهندي ويزيده فقراً كي لا يستطيع أن يصمد أمامه، وبعد استقلال الهند ازدادت نسبة الفقر، ولازمت الشعب الهندي هذه المشكلة لفترة طويلة كأثر من آثار الاستعمار البريطاني . وفي فلسطين أدت هزيمة حزيران 1967 م إلى انتشار الفقر والجوع والحرمان، لأن العدو الصهيوني الغاصب دمر الأراضي والمزارع، فانعدمت فرص العمل في المجتمع، واضطر الناس للعمل في مصانع إسرائيل . وقد ظهرت آثار هذه المشكلة في الروايات التي اخترتها واضحة.
- ألحت الكاتبتان في رواياتهما على إبراز ألوان الثقافة الفلسطينية والباكستانية، ونجد تشابهاً كبيراً بين ثقافة هذين البلدين، فقوانين النظام الأسري بينهما متشابهة، والتقاليد والرسوم في مناسبات الأفراح والمآتم والأمراض متقاربة بينهما إلى حد كبير.
- ومن أهم القضايا التي تحدثت عنها الكاتبات في رواياتهن هي قضية الموت لكثرة وقوعه أمام أعينهن .لأن حوادث الثورة والاحتلال لا تكون خالية من الموت والقتل، فلذا كثر ذكر الموت في رواياتهن، ولا تخلو أي رواية من ذكر الموت والأجل.
- حدثت الكاتبتان عن المشاعر العاطفية بكثرة في رواياتهما، وقدما صور عديدة للحب، ومعظم علاقات الحب الواردة في الروايات كانت نهايتها الخيبة والفشل، لأن المجتمع بتقاليده وشرائعه العمياء يبقي عائقا بين المحبين، ومعظم القصص تنتهي بافتراق المحبين أو انتحار أحدهما.
- تنتمي معظم شخصيات هذه الروايات إلى الطبقة الاجتماعية العادية، والأحداث التي وقعت في هذه الروايات أيضا مأخوذة من المجتمع الحقيقي، ومن خلالها رسمت الكاتبتان صورة واضحة للمجتمعين الفلسطيني والهندي بكل أبعادهما وجوانبهما المختلفة، متعرفين من خلالها على العادات والتقاليد الراهنة في هذين المجتمعين.

أوجه الاختلاف:

- عرضت الكاتبة الفلسطينية قضية الاحتلال الصهيوني في روايتها بالتفصيل والدقة، وأظهرت المشاهد المرعبة مملؤة بالآلام والأحزان التي شاهدها الشعب الفلسطيني في حياته اليومية، أما الرواية الهندية فتوجد فيها الإشارات البسيطةحول

الاحتلال البريطاني والهندوسي على مسلمي شبه القارة، ولم تكثر فيها صور الآلام والأحزان.

- إن موضوع الطفل من أبرز الموضوعات التي شغلت الكاتبة الفلسطينية في رواياتها. و منذ النكبة عام 1948 م عاش الطفل الفلسطيني تحت ظل الاحتلال والتهجير والتهديد والعنف، هو ضحية حروب طويلة ومستهدفا بالقتل والإرهاب، ولكنه لا يهاب الموت، بل يتجه إلى المقاومة والتدريب بالجرأة والشجاعة .أما الكاتبة الهندية فلم تطرح هذا الموضوع في رواياتها.
- عالجت الكاتبة الفلسطينية في رواياتها قضية العمل ومشاكل العمال في المصانع الإسرائيلية، وما يعانون من الاضطهاد والمرارة والإهانة والتميز الطبقي ما بينهم وبين العمال اليهود، ومسلمو شبه القارة أيضا واجهوا نفس المشاكل والصعوبات تحت رعاية الإنجليز والهنود، ولم تتناول الروائية هذه المشاكل في روايتها.
- وصفت الكاتبة الفلسطينية في رواياتها المخيم وما يلاقيه الشعب الفلسطيني من العذاب والذل والهوان والفقر والبؤس والضياع والحرمان بكل تفصيل ووضوح . أما بالنسبة للرواية الهندية فلا نجد فيها ذكر المخيم بأي شكل من الأشكال.
- رسمت الكاتبة الفلسطينية في رواياتها صور عديدة للفدائيين والشهداء والشهيدات الذين ضحوا بأنفسهم ودمائهم من أجل حرية وطنهم فلسطين .أما الروايات الهندية فلم يذكر فيها الشهيد إلا مرة أو مرتين فقط.

الخاتمة :

اختتاما ننتج و نستخلص بأن الموضوعات التي وردت في الرواية الفلسطينية والرواية الهندية لفتت انتباه القراء رغم الانتقادات اللاذعة من بعض الأركان خلال النصف الثاني من القرن العشرين . لا تزال الكثير من الكاتبات تهتمون بالقضايا الاجتماعية في رواياتهن و تتميز هذه الروايات بطابع محلي حيث تنتمي معظم شخصيات في هذه الروايات إلى الطبقة الاجتماعية العادية، والأحداث أيضا أخذت من واقع المجتمع الحقيقي. فمن هذا السبيل ما رسمت الكاتبتين سحر خليفة الفلسطينية وبانوقدسية الهندية صورة واضحة للمجتمعين الفلسطيني والهندي بكل أبعادهما وجوانبهما المختلفة، متعرفتين من خلالها على العادات والتقاليد الراهنة في هذين المجتمعين بأسلوب رائع.

المصادر والمراجع

1. أحمد، الدكتور حفيظة. قراءة تاريخية وفنية في الرواية النسائية الفلسطينية وتطورها،(2008)
2. أحمد، الدكتور حفيظة، شرفة للذيب، عايد عمر فلسطين قراءة تاريخية وفنية في الرواية النسائية الفلسطينية وتطوره، تاريخ- النشر، 22 أيار2008
3. خاتون طيبه، اردو مين ادبى نثر كى تاريخ 1989
4. السوافيري، الدكتور كامل. الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860 - م إلى سنة 1960 م، القاهرة دار المعارف، كورنيش النيل، ص 356 : ،357
5. هيكل، الدكتور أحمد. تطور الأدب الحديث في مصر من أوا ئل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الثانية الكبرى، القاهرة ط 6 دار المعارف - الطبعة الثانية، 1994 م، ص 95،94
6. المرجع نفسه، ص 197 - 198
7. التحولات في الرواية الفلسطينة، مقال مأخوذ من محاضرة ألقيت في جامعة ليون الثانية في فرنسا في نوفمبر 2002 - م ، منتديات شبكة مؤسسة القدس للثقافة والتراث.
8. رشدي، رشاد. "الاتجاه النقد الموضوعي"، مقال منشور في مجلة الفكر المعاصر، عدد 22 -، ديسمبر، 1966 م ، ص 23
9. فريد، حسن شاكر. الجانب الاجتماعي في أدب المرأة العربية، مقال منشور من مؤسسة الحوار المتمدن، تاريخ النشر - (7سيتمبر) 2009 ، عدد المقال. 2762
10. الصليبي، حسين محمد حسين، الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو - 1992رسالة الماجستير قدمت في الجامعة الاسلامية بغزة سنة 2008 م، ص33